

منهج الإمام فخر الدين الرازي في مشكل القرآن من خلال تفسيره مفاتيح الغيب سورة يوسف الآية (27) انموذجاً

مجيد كردي خلف ، أ.د. محمد علي حسين
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
Majeed Kurdi@yahoo.com

مستخلص:

إنَّ في دراسة الآيات المشكَّلة والمتشابهة لها أهمية بالغة، لكونها من أعظم سبل الدفاع عن القرآن الكريم، وبيان عظمته والدعوة إليه وإظهار لنوع من أنواع جهاد العلماء، في الذب عن القرآن الكريم، وكما فعل ابن قتيبة () في (تأويل مشكل القرآن). وُنَّ في دراسة المشكل تُبين كمال القرآن الكريم، وأحكامه وإتقانه، وسلامته من التعارض والتضاد، كما تُبين وجهًا من وجوه إعجازه. ويعتبر فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى، الذي كان فريد عصره في هذا الفن، فكان آيةً في الفهم، قوي الحجة شديد الإقناع، واسع الأفق، كثير المعارف، لذا فقد أطال النفس في الردِّ على ما استشكل من الآيات، في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب، ولا يخفى هذا على أهل العلم عمومًا وأهل التفسير خصوصًا، فقد تميز عن غيره من التفاسير بكثرة مسائله وحسن أسلوبه في توجيهها وترتيبها. الكلمات المفتاحية: منهج، الرازي، مشكل القرآن، سورة يوسف.

Imam Fakhr al-Din al-Razi's approach to the problems of the Qur'an through his interpretation of Mafatih al-Ghayb Surah Yusuf, verse (27) as an example

Majeed Kurdi Khalaf ، Assistant Professor Dr. Muhammad Ali Hussein
University of Iraq / College of Education /
Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education
Majeed Kurdi@yahoo.com
Supervised by

Abstract:

The study of problematic and ambiguous verses is of paramount importance, as it is one of the greatest means of defending the Holy Quran, demonstrating its greatness, calling people to it, and demonstrating a type of scholarly struggle in defense of the Holy Quran, as Ibn Qutaybah did in (Interpretation of the Problematic Verses of the Quran). Studying problematic verses reveals the perfection of the Holy Quran, its rules and perfection, and its freedom from contradiction and inconsistency. It also reveals an aspect of its miraculous nature.

Fakhr al-Din al-Razi (may Allah have mercy on him) was considered unique in this art of his time. He was a master of understanding, with a strong argument, a highly persuasive mind, and a wealth of knowledge. Therefore, he devoted considerable time to responding to problematic verses in his great commentary, Mafatih al-Ghayb. This is not hidden from scholars in general, and commentators in particular. He distinguished himself from other commentaries by the multitude of his issues and the excellence of his style in guiding and organizing them.

Keywords: Methodology, Al-Razi, Problems of the Qur'an Yusuf .

المقدّمة

الحمد لله الذي جعل القرآن هدى للمتقين، وشفاءً ورحمةً للمؤمنين، وأعزّ الله حملته إلى يوم الدين، من جعله أمامه قاده إلى جنات النعيم، ومن جعله خلفه ساقه إلى نار الجحيم، فهو أجل الكتب قدراً، وأغزرها علماً ونفعاً، أعيت بلاغته البُلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام الأتمّان على من أنزل عليه القرآن.

أما بعد:

فإن أشرف ما يشتغل به الإنسان في أيام عمره هو الاهتمام بعلوم الشريعة؛ لأنّ بها صلاح الدين والدنيا، وبها يسمو الإنسان ويرقى، وعلم التفسير أعلاها شأنًا، وأعظمها منزلةً، كيف لا وموضوعه القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، فما زال العلماء قديماً وحديثاً ينهلون من علومه، ومعارفه على اختلاف مناهجهم ومناحيهم؛ لذلك فإنّ العناية بعلم التفسير، وصرف المهتم نحوه، وتعلّمه، وتعليمه من أنفع ما يكون للمسلم عموماً، ولطالب العلم خصوصاً، ومن المعلوم أن الله قد أنزل كتابه الكريم هدى للناس، لا شك فيه ولا ارتياب ولا التباس، فهل الموقفون من علوم هذا الكتاب العزيز على قدر ما وهبهم الله من فهم ومدارك، وقد بلغوا ما بلغوا من العلم والفهم والذكاء ولم يُحيطوا بهذا الكتاب علماً، ولم يستوعبوه كله فهماً؛ لأنّ بني آدم قد خلّقوا من ضعف، وجبلوا على خطأ ونقص، وتفرد الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق؛ لذا فإنّ بعض العقول والأفهام قد تعجز عن فهم آية، وتتشكل أخرى، ويُحار الطرف منها

في دلالة ثالثة، بل قد يمعن النظر في آية أياماً وليالي ولم يجد ما يشفي غليله لدفع إشكال وقع له، أو شبهة أقيت عليه، وخاصة في هذا الزمان الذي فشا فيه الجهل، وماجت فيه الفتن، وتكالت علينا الأعداء، من الداخل والخارج، والقريب والبعيد، فلا زالوا يسعون جاهدين في ضرب مصادرنا من التشكيك والتضليل في كتاب الله المبين وسنة رسوله الكريم ﷺ متبعين الآيات المتشابهات، زاعمين التناقض في بعض الآيات، متشبثين بحجج واهيات، ولكن هيهات هيهات! وقد حكم عليه ربّ الأرض والسموات بحكم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، وقبض الله تعالى لهم بعض علماء المسلمين فهم بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، يُحيون بكتاب الله قلوباً قد ماتت، ويصّرون بنور الله بصائر قد عميت، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ومن هنا جاء بحثي الموسوم (منهج الإمام فخر الدين الرازي في مشكل القرآن من خلال تفسيره مفاتيح الغيب) على ثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول

التعريف بمشكل القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف المشكل لغةً واصطلاحاً

تعريف المشكل في اللغة:

المشكِل: اسم فاعل، من أشكل يشكل إشكالاً؛ فهو مشكل.

واسم الفاعل من غير الثلاثي يأتي على زنة مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة،

الكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم.

ففي الكتب المؤلفة في التفسير نجد أن هناك فرعين من التأليف:

الأول: كتب مفردة في مشكل القرآن، وموهم التعارض بين آياته، ومن هذه الكتب كتاب (تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة)، وكتاب (حل مشكلات القرآن لابن فورك)، وكتاب (درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي)، وكتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي).

الثاني: كتب عامة، جل اهتمامها هو التفسير؛ إلا أن مؤلفيها ربما تطرقوا لحل بعض مشكلات القرآن، ومن أشهر الذين اعتنوا بحل بعض مشكلات القرآن في مؤلفاتهم التفسيرية: تفسير (جامع البيان للطبري)، تفسير (البيضاوي)، تفسير (الواحدي)، وتفسير (الراغب الأصفهاني)، وتفسير (الكشاف للزمخشري)، وتفسير (مفاتيح الغيب للرازي)، وتفسير (المحرر الوجيز لابن عطية)، وتفسير (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي)، وتفسير (البحر المحيط لأبي حيان)، وتفسير (إرشاد العقل السليم لأبي السعود)، وغيرها من التفاسير بين مستكثر ومقل؛ ولكن لم نجد أحداً منهم تطرق لتعريف المشكل، إلا أن مقتضى صنيعهم يدل على أن مصطلح المشكل عندهم عام يشمل كل إشكال يطرأ على الآية، سواء كان في اللفظ أم في المعنى، أو كان لتوهم تعارض، أو توهم إشكال في اللغة، أو غير ذلك.

ولكننا نجد أن الكتب المؤلفة في علوم القرآن قد تناول أصحابها تعريف المشكل، وموهم التناقض بين آيات القرآن، ومن أبرز هذه التعاريف:

1- ((وهو ما يوهم التعارض بين آياته))⁽⁴⁾، أو

(4) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد

وكسر ما قبل الآخر⁽¹⁾.

والشين والكاف واللام، معظم بابه الماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي: مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه⁽²⁾.

ومادة أشكال تدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والماثلة، تقول: أشكال عليّ الأمر، أي: اختلط بغيره⁽³⁾.

تعريف المشكل في الاصطلاح:

لقد تباينت آراء العلماء في تعريف المشكل، فتعريفه عند أصحاب كل فن يختلف عن الآخر، وأن ما يعيننا في هذا البحث هو معناه في اصطلاح المفسرين دون غيرهم، لذا سأكتفي في بيان تعريفه عند المفسرين.

المطلب الثاني: تعريف المشكل عند علماء التفسير:

لمعرفة المشكل عند علماء التفسير لابد من النظر في كتب التفسير التي تطرق أصحابها إلى المشكل في القرآن:

(1) ينظر: الكافية في علم النحو: ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسفنجي المالكي (ت: 646 هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م (ص: 40 - 41).

(2) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395 هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ (3 / 204).

(3) ينظر: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666 هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420 هـ (1 / 145).

معارضة معتبر من: إجماع، أو قياس، أو قاعدة شرعية كلية ثابتة، أو أصل لغوي، أو حقيقة علمية، أو حس، أو معقول.

المطلب الثالث: تعريف المشكل عند المحدثين.

لمعرفة المشكل عند المحدثين لابد من النظر في العبارات التي ذكروها عند كلامهم عن مشكل الحديث.

1. ((وإني نظرت في الآثار المروية عنه صلى الله عليه وسلم، بالأسانيد المقبولة، التي نقلها ذوو الثبوت فيها والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها، والعلم بما فيها عن أكثر الناس، فمال قلبي إلى تأملها، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها))⁽⁵⁾.
2. ((مما يوهم ظاهره التشبيه، مما يتسلق به الملحدون على الطعن في الدين))⁽⁶⁾.

3. ((ويشكّل) بفتح حرف المضارعة، وضم الكاف، أي ويعرف (المشكّل) أي المغلق (منه) وهو الذي لا يفهمه كل أحد، وإنّما يدركه العلماء))⁽⁷⁾.
4. ((من المعلوم أنه قد يأتي الحديث وأكثره

(5) شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: 321 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [ت: 1438 هـ]، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 1 - 1415 هـ (1/ 6).

(6) مشكل الحديث وبيانه: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: 406 هـ)، تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط 2، 1985 م (37).

(7) شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: 1014 هـ)، (799).

هو موهم التعارض بين القرآن والسنة⁽¹⁾، وكذلك خفاء اللفظ والذي هو نوع التشابه ويعد من المشكل⁽²⁾.

2- المشكل هو ما ((يوهم التعارض بين الآيات))⁽³⁾.

3- ((هو ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلاّ بدليل آخر))⁽⁴⁾.

ومن هذه الاقوال يتبين أنّ علماء التفسير وعلوم القرآن يطلقون المشكل ويعنون به: الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض فيما بينها، أو الآيات التي يوهم ظاهرها معارضة حديث نبوي، أو الآيات التي في معناها خفاء وغموض، لا يدرك إلاّ بدليل آخر.

وربما أطلقوا المشكل على الآيات أو القراءات التي خالفت قاعدة لغوية، من نحو أو تصريح أو إعراب.

ويمكن أن نستخلص تعريفاً جامعاً يتضمن جميع وجوه الإشكال في القرآن الكريم: هو الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها معارضة نص آخر؛ من آية قرآنية، أو حديث نبوي ثابت، أو يوهم ظاهرها

بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794 هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، ط 1، 1376 هـ (2/ 176).

(1) المصدر نفسه (2/ 193).

(2) المصدر نفسه (2/ 200).

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط 1 1408 هـ (1/ 72).

(4) الزيادة والإحسان في علوم القرآن: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكّي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت 1150 هـ) (5/ 134).

3. ((ما أشكل معناه، ولم يتبين مغزاه))⁽⁵⁾.
4. ((اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لا بد من قرينة خارجية تبين ما يراد منه))⁽⁶⁾.
ومن أقوال العلماء هذه، يتبين لنا بأن المشكل عند الأصوليين: هو اللفظ الذي يستغلق معناه، ولا يتبين المعنى إلا بعد النظر والتأمل فيه، أو من خلال قرينة، أو دليل.
ومن خلال ما سبق ذكر من أقوال العلماء يتبين لنا بأن المشكل هو: كل نص شرعي؛ استغلق وخفي معناه، أو أوهم معارضة نص شرعي آخر، أو أوهم معاني مستحيلة؛ شرعاً أو عقلاً، أو شرعاً وعقلاً.

وبهذا التعريف نكون قد استوعبنا معناه في جميع الاصطلاحات، فيكون شاملاً لكل ما تقدم من تعريفات للمشكل في اصطلاح الأصوليين، والمحدثين، وعلماء التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثاني :

التعريف بالمفسر

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

واسمه: محمد بن عمر (أبو القاسم) بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، أبو المعالي وأبو عبد الله وأبو الفضل المعروف بالفخر الرازي، والرازي نسبة

ظاهر لا يحتاج إلى شرح، وَإِنَّمَا يَشْرَحُ مَا يَشْكُلُ))⁽¹⁾.
5. ((أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ، بأسانيد مقبولة، يوهم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة))⁽²⁾.

ومن هذه الأقوال للعلماء في مشكل الحديث، يتبين لنا أن المشكل عند المحدثين: هو الحديث الذي يوهم تعارض ظاهره مع آية من كتاب الله تعالى، أو مع حديث صحيح، أو مع قاعدة شرعية، أو مع حقيقة ثابتة.

المطلب الرابع: تعريف المشكل عند الأصوليين.

ومن أقوال علماء الأصول في المشكل:

1. ((هو اسم لما يشتهبه المراد منه، بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال))⁽³⁾.
2. ((هو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب، وهو الداخِل في أشكاله، أي: في أمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم: أشكل، أي: صار ذا شكل، كما يقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حرمة))⁽⁴⁾.

(1) كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، (1/7).

(2) مختلف الحديث (ص 36).

(3) أصول السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 483 هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية [ت: 1395 هـ]، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند (1/ 168).

(4) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان، ط 1 1403 هـ (276).

(5) الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790 هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، ط 1، 1412 هـ (2/ 736).

(6) علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف (ت: 1375 هـ)، الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، ط 8، دار القلم، (171).

وخسمئة في الري⁽⁴⁾، وكان رُبَع⁽⁵⁾ القامة، وكان في صوته فخامة، وكان عَبَل⁽⁶⁾ البدن باعتدال، عظيم الصدر والرأس، كث اللحية، جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة، له ثروة ومماليك وبزّة حسنة وهيئة جميلة⁽⁷⁾.

المطلب الثالث: عصر فخر الدين الرازي

عاش الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وأول القرن السابع الهجري، ما بين (544هـ-606هـ)، حيث خيم الاضطراب والصراع المستمر على السلطة، وكانت الدول المتحكمة في هذه الفترة،

إلى مدينة (الري)⁽¹⁾، التي وُلد فيها، والطبرستاني نسبة إلى بلدة (طَبْرِستان)⁽²⁾، نُسب إليها؛ لأنَّ أسرته كانت فيها قبل مغادرتها للإقامة في الري، والقرشي نسبة إلى تيم قريش قبيلة أبي بكر الصديق ﷺ، وبهذا يتضح أن فخر الدين الرازي عربي الأصل، يصل في نسبه إلى أبي بكر الصديق ﷺ⁽³⁾.

المطلب الثاني: مولده وصفاته ونشأته:

وُلد في الخامس والعشرين من رمضان، سنة أربع وأربعين وخسمئة، وقيل: ثلاث وأربعين

(1) بلدة (الري) قريبة من طهران، قد بادت وأصبحت مجرد خرائب، هجرها أهلها إلى طهران، التي عاصمة إيران حالياً، ينظر: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير: موقع الإسلام (1/185) و(2/136).

(2) طبرستان، بفتح الباء وكسر الراء سكون السين اسم بلاد بالعجم وهي مركبة من كلمتين، (طَبْر) وهو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، وأمّا في العربية فيقال: طبر الرجل إذا قفز، وطبر إذا اختبأ، و(ستان) هو الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطب، وهي مدينة معروفة، ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط2، 1995م (4/13)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت (2/368).

(3) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ (7/242) و(8/82) وسير أعلام النبلاء (21/501).

(4) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت (4/248-252)، سير أعلام النبلاء (21/501)، البداية والنهاية: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (701 - 774 هـ) (14-17/11).

(5) أي: لا بالطويل ولا بالقصير. ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، مادة: ربع (8/107).

(6) أي: الضخم من كل شيء، وفي صفة سعد بن معاذ ﷺ كان عبلاً من الرجال، أي: ضخماً، ينظر: لسان العرب، مادة: عبّل (11/420).

(7) ينظر: شذرات الذهب (7/40)، طبقات الشافعية الكبرى (8/81) وعيون الانباء في طبقات الأطباء: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، المحقق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة || بيروت (465).

بحملات الغزو الصليبي وكان أشدها ضراوة في القرن السادس الهجري، حيث ظل بيت المقدس في يد الصليبيين، منذ سقوطه سنة (492هـ)، حيث استعاده صلاح الدين الأيوبي⁽⁵⁾، سنة (583هـ)⁽⁶⁾.

المطلب الرابع: علمه ومصنفاته:

قال الرازي رحمه الله عن نفسه: فاعلموا أنني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً⁽⁷⁾.

وكان الفخر الرازي رحمه الله شديد الحرص جداً في سائر العلوم الشرعية والحكومية، ورزق الخطوة في تصانيفه وانتشرت في الأقاليم⁽⁸⁾.

وقال ابن كثير رحمه الله: وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامّة⁽⁹⁾.

(5) صلاح الدين هو الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدؤيني التكريتي أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الدولة الفاطمية التي استمرت 262 سنة، ينظر: سمط النجوم العوالي (4/8-10)، الكامل في التاريخ (10/224).

(6) ينظر: البداية والنهاية (12/323)، قال الرازي: بيت المقدس بقي أكثر من مائة سنة في أيدي النصاري بحيث لم يتمكن أحد من المسلمين من الدخول فيه إلا خائفاً، إلى أن استخلصه الملك صلاح الدين رحمه الله في زماننا، ينظر: مفاتيح الغيب (4/12).

(7) طبقات الشافعية الكبرى (8/91).

(8) ينظر: شذرات الذهب (3/12).

(9) البداية والنهاية (13/55).

هي: الدولة السلجوقية⁽¹⁾، والدولة الخوارزمية⁽²⁾، والدولة الغورية⁽³⁾، وكان النزاع والتناحر بين هذه الدول الثلاث على أشده، بينما كانت سلطة الخليفة العباسي في بغداد، سلطة اسمية في الغالب⁽⁴⁾.
أمّا الحالة الخارجية، فقد ابتليت البلاد الإسلامية

(1) الدولة السلجوقية نسبة الى سلجوق بن دقاق من قبائل الترك الذين يسكنون غرب الصين، وسلجوق هذا دخل الإسلام وبدأ يحارب الاتراك الوثنيين ويدعوهم الى الإسلام، حتى أتسع سلطانه، وبسط على تلك الانحاء ملكه، وسميت من بعد الدولة باسمه، ثم توسع نفوذ آل سلجوق الى خراسان ثم طبرستان ثم أصفهان، ثم استنجد بهم الترك الذين كانوا في بغداد، فدخلوا بغداد للقضاء على دولة البويهيين، وذلك عام - 334هـ)، ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا)، المحامي (ت: 1338هـ)، تحقيق: إحسان حقي، الناشر: دار النفائس، بيروت - لبنان، ط1، 1401هـ، (65).

(2) نشأة الدولة الخوارزمية في ظلال دولة السلاجقة، وذلك في عهد ملكشاه الأول وهو مملوك تركي اسمه أنوشتكين، تمتع بتقدير خاص في بلاط السلاجقة، وبسبب ما كان يتمتع به هذا المملوك من حسن الخلق والشجاعة، فقد ولاه السلطان ملكشاه ولاية خوارزم، وعندما توفى أنوشتكين سنة (490هـ)، تولى ابنه محمد إمارة خوارزم، وكان يلقب قطب الدين، وخوارزم شاه أي أمير خوارزم، واستمر في الإمارة ثلاثين عاماً، أسس خلالها الدولة الخوارزمية، ينظر: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، (3/88).

(3) الغورية تنسب هذه الدولة الى قبيلة الغور، وهم أقوام يعيشون بين هراة وغزنة في أفغانستان، وقد استطاع عز الدين حسين وهو مؤسس العائلة الغورية من التقرب من الدولة الغزنوية، في غزنة، ثم بعد ذلك أسس الولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، وذلك في عام (582هـ)، ينظر: موجز التاريخ الإسلامي (423).

(4) ينظر: المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) (1/29).

وكان من أشهر تلامذة فخر الدين الرازي:

شمس الدين الخويي⁽¹⁾، عبد الحميد بن عيسى
الخسر وشاهي⁽²⁾.

مصنفات فخر الدين الرازي

صنف الرازي التصانيف المفيدة في عدّة فنون،
الكبيرة والصغيرة، وأمتع في كتبه حتى قيل هو أول
من اخترع هذا الترتيب، وأتى فيها بما لم يسبق إليه،
لهذا انتشرت في الأفق، واشتغل الناس بها.

ومن هذه المصنفات:

1. كتاب التفسير الكبير، المسمى مفاتيح الغيب.
2. تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا
النقلي، مجلد.
3. شرح وجيز الغزالي، لم يُتم، حصل منه
العبادات والنكاح في ثلاث مجلدات.
4. كتاب الطريقة العلائية في الخلاف، أربع
مجلدات.
5. كتاب لوازم البيئات في شرح أسماء الله تعالى
والصفات.

6. كتاب المحصول في علم أصول الفقه.

7. كتاب في إبطال القياس.

5. شرح كتاب المفصل الزمخشري في النحو، لم يُتم.

9. شرح سقط الزند، لم يُتم.

10. كتاب فضائل الصحابة.

وغيرها الكثير من المصنفات، الى ما يربو الى

قراءة السبعين مصنفاً، في مختلف العلوم⁽³⁾.

المطلب الخامس: المذهب العقدي لفخر الدين

الرازي

إن المتمعن في كتب الإمام فخر الدين الرازي
رحمه الله تعالى يجد أن أثر علم الكلام ظاهرٌ بينٌ
فيها من حيث الاستدلال العقلي وإيراد المسائل
المتلازمة التي يولد بعضها بعضاً؛ ولكن الله بفضله
ومنه ولطفه صرف قلبه للعقيدة السليمة الصافية
وهذا ما قرره في وصيته عند موته وتناقلها العلماء
ومنهم الحافظ المحدث المفسر الفقيه عماد الدين ابن
كثير رحمه الله حيث قال: «إنّه - يعني فخر الدين
الرازي - رجع عن مذهب الكلام - في وصيته -
إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد
اللائق بجلال الله سبحانه»⁽⁴⁾.

أما مذهبه الفقهي:

فهو شافعي المذهب⁽⁵⁾، بل هو أحد فقهاء
الشافعية المشاهير⁽⁶⁾.

المطلب السادس: ثناء العلماء على الفخر الرازي

قال السبكي في ترجمته: «إمام المتكلمين ذو
الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع بالشاسع،
من حقائق المنطوق والمفهوم والارتفاع قدرًا على
الرفاق، وهل يجري من الأقدار إلا الأمر، بحر
ليس للبحر ما عنده من الجواهر»⁽⁷⁾.

(1) شمس الدين الخويي هو أبو العباس أحمد بن الخليل
بن سعادة بن جعفر بن عيسى من مدينة خوي،
وكانت وفاته بحمي الدق في دمشق (ت: 637هـ)،
ينظر: عيون الأنباء (646).

(2) عبد الحميد هو شمس الدين عبد الحميد بن عيسى
الخسر وشاهي، وخسر وشاه ضيعة قريبة من تبريز، أقام
بدمشق إلى أن توفي رحمه الله (ت: 652هـ)، ينظر: عيون
الأنباء (1/648).

(3) ينظر: عيون الأنباء (1/470)، واطروحة (فخر
الدين الرازي والحكمة القرآنية) لإبراهيم محمد سلامة
(ص: 106-26).

(4) البداية والنهاية (55/13).

(5) المصدر نفسه (249/4).

(6) المصدر نفسه (55/13).

(7) طبقات الشافعية الكبرى (81/8).

وانتقل إلى جوار ربه رحمه الله تعالى .
وقال في وصيته: يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ويتوجه إلى مولاه كل أبق، أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب، ... ثم إنه سرد وصيته في ذلك إلى أن قال: وأمرت تلامذتي ومن لي عليه حق، إذا أنا مت يبالغون في إخفاء موتي، ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرأوا علي ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه⁽⁹⁾.

المبحث الثالث : التعريف بتفسير الرازي

« مفاتيح الغيب » وبيان منهجه فيه

المطلب الأول: اسم التفسير:

سمّاه الرازي رحمه الله «مفاتيح الغيب»⁽¹⁰⁾، وهو المعروف بالتفسير الكبير⁽¹¹⁾، وهو قمة نتاج

ولهذا عدّه السبكي رحمه الله من المجددين للقرن السادس، فقال: والسادس: الإمام فخر الدين الرازي⁽¹⁾.

قال ابن الأثير رحمه الله: «كان إمام الدنيا في عصره»⁽²⁾.

وقال ابن خلكان: «كان يُلقب بهراة: (شيخ الإسلام)»⁽³⁾. وقال فيه: فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة⁽⁴⁾.

قال الذهبي رحمه الله: شيخ الأصولية، ... العلامة الكبير ذو الفنون... المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين⁽⁵⁾.

المطلب السابع: وفاة فخر الدين الرازي

توجه إلى بلدة خوارزم ومرض بها وتوفي في بلدة هراة، وأمل في شدة مرضه وصية، وذلك في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر محرم سنة ست وستمائة، وامتد مرضه إلى أن تُوفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة⁽⁶⁾، يوم الإثنين⁽⁷⁾، ودُفن آخر النهار في الجبل المصائب لقريّة مزدخان⁽⁸⁾،

(1) طبقات الشافعية الكبرى (203-202/1).

(2) الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1417هـ (10/350).

(3) وفيات الأعيان (4/250).

(4) ينظر: وفيات الأعيان (4/249).

(5) سير أعلام النبلاء (21/485)، (21/500-501).

(6) ينظر: عيون الأنباء (465).

(7) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/93).

(8) بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال، قرية بالقرب

من هراة، ينظر: وفيات الأعيان (4/252).

(9) طبقات الشافعية الكبرى (8/90)، تاريخ الإسلام (13/137).

(10) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، حققه وضبطه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف (43/216).

(11) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، الشهير بـ (حاجي خليفة) وبـ (كاتب جلبي) [ت: 1067هـ] [2/1756] وعيون الأنباء (ص 470).

الرازي⁽¹⁾، ولقد طُبِعَ هذا الكتاب عدّة طبعات. لقد مكث الفخر الرازي (رحمه الله) في تفسيره قرابة ثمان سنوات، يظهر ذلك من طريق التتبع للتواريخ في ثنائية تفسيره، وفي خواتيم تفسير بعض السور، فقد وضع تفسيره من سنة (595هـ)، وهو تاريخ اتمامه لتفسير سورة آل عمران، حيث قال: تم تفسير هذه السورة بفضل الله وإحسانه يوم الخميس أول ربيع الآخر، سنة خمس وتسعين وخمسة⁽²⁾.

التقديس»، من أراد الإطناب في هذا الباب، فليرجع إليه⁽⁵⁾. وقوله: ((واعلم أنّه لا سبيل إلى استقصاء مذاهب العالم في هذا الموضع، ومن أراد ذلك فليطالع كتابنا الذي سميناه بـ«الرياض المونقة»⁽⁶⁾). وقال: ((والوجه الثالث وهو الذي أوردناه على الأطباء في كتابنا الكبير في الطب))⁽⁷⁾. وقال: ((وقد أطنبنا في تقريره في كتاب (المحصول من الأصول))⁽⁸⁾.

إلى سنة (603هـ)، حيث قال في نهاية تفسير سورة الدخان: تم تفسير هذه السورة ليلة الثلاثاء في نصف الليل الثاني عشر من ذي الحجة، سنة ثلاث وستمئة⁽³⁾.

ويتجلى من خلال استعراض التواريخ المضبوطة في نهايات تفاسير السور أنّ الفخر الرازي لم يكن يتبع في تفسيرها ترتيبها في المصحف، ويتضح هذا من خلال تتبع تفسيره للسور: هود، ويوسف، والرعد، والتي تأتي بالترتيب بعد سورة الإنفال وسورة التوبة.

ومن الثابت أنّ الرازي شرع في كتابة تفسيره بعد أن اكتملت أدواته العلمية، وبلغ تمام نضجه العقلي⁽⁴⁾، وبعد أن تقدم له تصنيف قدر كبير من الكتب، يظهر ذلك في إحالته على عدد من كتبه، مثل قوله: ((ولنا كتاب مفرد في إثبات تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكان، سميناه بـ«تأسيس

المطلب الثاني: مصادر الفخر الرازي في تفسيره. لقد تنوعت مصادر الرازي في تفسيره، واحتوت فنوناً من العلم، وقد ذكر المؤلف كثيراً من أسماء هذه المصادر وأسماء مؤلفيها صراحة، وبعض الأحيان كان يشير إلى علماء ومؤلفين تأثر بهم واطلع على مؤلفاتهم وأورد آراءهم، لكنه لا ينص على هذه المؤلفات التي اطلع عليها، فكان من مصادره ما يلي:

أولاً: من كتب التفسير:

1. جامع البيان في تفسير آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري (ت: 310هـ).
2. معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (ت: 311هـ).
3. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي (ت: 427هـ).
4. تفاسير الواحدي: الوجيز، والوسيط، والبسيط وهو أكثرها مصدرًا، لأبي الحسن الواحدي، (ت: 468هـ).
5. أحكام القرآن، لأبي بكر الرازي الجصاص

ومن الثابت أنّ الرازي شرع في كتابة تفسيره بعد أن اكتملت أدواته العلمية، وبلغ تمام نضجه العقلي⁽⁴⁾، وبعد أن تقدم له تصنيف قدر كبير من الكتب، يظهر ذلك في إحالته على عدد من كتبه، مثل قوله: ((ولنا كتاب مفرد في إثبات تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكان، سميناه بـ«تأسيس

(1) ينظر: المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي: محمد ياسين العريبي، دار الفكر بيروت، 1993، (ص 99).

(2) مفاتيح الغيب (9/127).

(3) المصدر نفسه (27/218).

(4) ينظر: نظرية المعرفة عند الرازي من خلال تفسيره (ص 67).

(5) مفاتيح الغيب (27/15).

(6) المصدر نفسه (18/61).

(7) المصدر نفسه (20/61).

(8) المصدر نفسه (16/180).

- (ت370هـ).
4- تهذيب اللغة ، للأزهري (ت370هـ).
5- الصحاح ، للجوهري (ت393هـ).
6- دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ).
7- المفصل ، للزمخشري (ت538هـ).
رابعاً: كتب الكلام والتصوف والوعظ:
1. التوحيد ، لابن خزيمة (ت311هـ).
2. الشفا ، لابن سينا (ت428هـ).
3. الإشارات ، لابن سينا (ت428هـ).
4. إحياء علوم الدين ، للغزالي (ت505هـ).
5. المنقذ من الضلال ، للغزالي (ت505هـ).
خامساً: كتب السير والتاريخ والتراجم:
1- المغازي ، لابن إسحاق (ت151هـ).
2- مناقب الشافعي ، للبيهقي (ت458هـ).
3- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (ت463هـ).
سادساً: كتب الفقه والأصول:
1- الأم للشافعي (ت204هـ).
2- الرسالة للشافعي (ت204هـ).
3- الشامل في فروع الشافعية، لأبي نصر المعروف بابن الصباغ (ت488هـ).

المبحث الرابع :

**المشكل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُو
فُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**

[يوسف:27]

نص الاشكال: قال الرازي (رحمه الله): وأعلم أن القول الأول عليه إشكال، وذلك أن العلامة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُو فُدًّا مِنْ دُبُرٍ﴾، لا تدل دلالة قطعاً على براءة يوسف عليه السلام، وذلك لاحتمال أنه قصد المرأة لطلب الزنا⁽²⁾،

- (ت370هـ).
ومن تفاسير المعتزلة:
1- تفسير قطرب، محمد بن المستنير (ت: 206هـ).
2- تفسير الأخفش، وهو سعيد بن مسعدة (ت: 215هـ).
3- تفسير الجبائي، (ت: 303هـ).
4- تفسير الكعبي، (ت: 317هـ).
5- تفسير أبي هاشم، (ت: 321هـ).
6- تفسير القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ).
7- تفسير أبي مسلم الأصبهاني، (ت: 459هـ).
وقد كانت هذه التفاسير الخمسة الأخيرة هي من أبرز التفاسير التي حاول الرازي أن يتناول ما كُتِبَ منها عن قضايا الاعتزال⁽¹⁾.
8- تفسير الكشاف، لجار الله أبي القاسم الزمخشري (ت: 538هـ).

ثانياً: كتب السنة:

1. موطأ مالك (ت179هـ).
2. صحيح البخاري (ت256هـ).
3. صحيح مسلم (ت261هـ).
4. سنن أبي داود (ت275هـ).
5. جامع الترمذي (ت279هـ).
6. معالم السنن ، للخطابي (ت388هـ).
7. السنن الكبرى ، للبيهقي (ت458هـ).
8. شرح السنة للبخاري (ت516هـ).

ثالثاً: كتب اللغة:

- 1- كتاب العين ، للخليل بن أحمد (ت170هـ).
2- الكتاب ، لسيبويه (ت180هـ).
3- إصلاح المنطق ، لابن السكيت (ت244هـ).

(1) اتجاهات فخر الدين الرازي في تفسير القرآن الكريم (ص301).

(2) الزنا فيه لغتين؛ القصر (زنى) لأهل الحجاز، والمد

، والشوكاني⁽⁴⁾، فقال: «وَلَا يَحْفَىٰ أَنْ هَاتَيْنِ الْجُمَّلَتَيْنِ الشَّرْطِيَّتَيْنِ لَا تَلَازِمَ بَيْنَ مُقَدِّمِيهِمَا وَتَالِيِيهِمَا، لَا عَقْلًا وَلَا عَادَةً، وَلَيْسَ هَاهُنَا إِلَّا مَجْرَدُ أَمَارَةٍ غَيْرِ مُطَّرِدَةٍ، إِذْ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ تَجْذِبَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ مُقْبَلٌ عَلَيْهَا فَيَنْقَدَّ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرٍ، وَأَنْ تَجْذِبَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ عَنْهَا فَيَنْقَدَّ الْقَمِيصُ مِنْ قُبُلٍ»⁽⁵⁾ والالوسي⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

تحرير محل الإشكال: أن الأدلة عادةً تساق لبيان الحقائق واثبات الوقائع، وكون أن القميص قد تمزق من جهة الخلف فهذا لا يدل دلالة قطعية على براءة يوسف عليه السلام، لاحتمال أن يكون هو المتهم بمراودة المرأة عن نفسها، وأن المرأة دافعت

(4) الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) بها، له 114 مؤلفاً، منها (نيل الأوطار من أسرار متقى الأخبار)، و(فتح القدير) و(ارشاد الفحول) وغيرها، (ت: 1250هـ)، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396 هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط15 (2002م)، (6/298).

(5) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، ط-1 1414 هـ، (3/23).
(6) الالوسي هو: محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم، له مؤلفات كثيرة منها (روح المعاني) في التفسير، (ت: 1270هـ)، ينظر: الأعلام للزركلي (7/176).

(7) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (ت: 1270هـ)، تحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، (6/414).

فغضبت عليه، فهرب الرجل، فعَدَّت المرأة خلف الرجل وجذبتة من قميصه لقصد أن تضربه ضرباً موجعاً، وعلى هذا الوجه يكون القميص مُتَخَرِّقاً من دبرٍ، وتكون المرأة بريئة والرجل مذنب⁽¹⁾، وممن أورد هذا الإشكال الماتريدي⁽²⁾، فقال: «لأن القميص في الغالب لا يتمزق من دبر إلا عن جر من وراء، ولا من قبل إلا عن دفع من قدام، لذلك دل على ما ذكرنا، والله أعلم، وإن كان يجوز أن يكون في الحقيقة على غير ذلك، لكن نظر إلى الغالب»⁽³⁾

(زنا) لأهل نجد، قال مناوي: والزنا لغة: الرقي على الشيء، وفي الاصطلاح: إيلاج الحشفة بفرج محرم بعينه خال من الشبهة، مشتهى، وقال الراغب هو وطئ المرأة من غير عقد شرعي، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (38/225).
(1) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط-3 1420 هـ، (18/448).

(2) الماتريدي هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور، الماتريدي، من كبار العلماء، له كتاب «التوحيد»، وكتاب «المقالات»، وكتاب «رد أوائل الأدلة» للكعبيي، وكتاب «بيان وهم المعتزلة»، وكتاب «تأويلات القرآن»، وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، (ت: 333هـ)، وقبره في سمرقند، ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت: 775هـ)، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر - القاهرة، ط2، 1413 هـ، (3/360-361).

(3) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، (6/229).

السادسة: أن زوج المرأة كان عاجزاً، واثار طلب الشهوة في حق المرأة متكاملة، فإلحاق الفتنة بها من باب أولى.

فلما كانت هذه العلامات متوفرة وهي تدل على صدق يوسف عليه السلام، ثم يُضاف إليها علامة شق القميص، يتحقق بذلك بأنها كذبت وهو من الصادقين⁽²⁾.

أقوال العلماء في الإشكال ودراساتها:

ذكر أهل التفسير بأن العلامة التي ثبتت بها براءة يوسف عليه السلام: قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وفيها أقوالاً.

الأول: أن الشاهد هذا هو ابن عمّ للمرأة وكان رجلاً حكيماً، وهو الذي قال: إن كان شق القميص من قدامه فصدقت بدعواها، وكذب هو بأنكاره، وعلى هذا القول طائفة كبيرة من المفسرين⁽³⁾، ورجح هذا القول القرطبي (رحمه الله)، بقوله ((وهو الصحيح في الباب، والله أعلم))⁽⁴⁾.

ويُرد عليه: بأنه لا يلزم كون قميصه شقاً من جهة دبره أن تكون هي الكاذبة في دعواها للإشكال المذكور، ولما قال الماتريدي: (وإن كان يجوز أن يكون في الحقيقة على غير ذلك)، أي على غير تلك

(2) ينظر: تفسير الرازي (446-445/18).

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، (6/57) وتفسير الماتريدي (6/296) وتفسير الرازي (18/446) وغيرهم كثير من المفسرين.

(4) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ، (6/173).

وضربته فهرب فتبعته وجذبتة من قميصه من جهة الخلف للإمساك به وتأديبه لما لها من سلطان عليه، وبهذا تمزق قميصه من دُبر، فمع ورود هذا الاحتمال، صار مما يوهم التعارض في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فكيف يثبت كذب المرأة وصدق يوسف عليه السلام بدليل أن قميصه قد تمزق من جهة الخلف؟.

دفع الاشكال:

أجاب الرازي (رحمه الله): أن علامات كذب المرأة كانت كثيرة بالغة مبلغ اليقين، فضمّموا إليها هذه العلامة، لا من أجل أن يُعولوا في الحكم عليها، بل لأجل أن يكون ذلك جارياً مجرى المقويات والمرجحات⁽¹⁾، وقد ساق الرازي (رحمه الله)، عدد من العلامات الدالة على كذب المرأة وبراءة يوسف عليه السلام.

الأولى: أن يوسف (عليه السلام) كان في ظاهر الأمر عبداً لهم، والعبد لا يستطيع أن يتسلط على مولاته.

الثانية: أنهم شاهدوا يوسف (عليه السلام)، يعدو عدواً شديداً وهو يخرج من الدار.

الثالثة: أنهم رأوا ان المرأة تزينت على أكمل وجه، فكان إلحاق الفتنة بها أولى.

الرابعة: أنهم كانوا يعلمون من حال يوسف عليه السلام، في المدة الطويلة التي لبث فيها عندهم، بأنهم ما رأوا عليه حالة تناسب إقدامه على مثل هذا الفعل المنكر.

الخامسة: أن المرأة ما نسبته الى طلب الفاحشة تصریحاً، بل ذكرت كلاماً مجملاً، بينما هو نفى التهمة تصریحاً.

(1) تفسير الرازي (446/18).

الثاني: أن الشاهد كان طفلاً، تكلم وهو في المهدي، وهذا القول منقول عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، وسعيد بن جبير⁽⁷⁾ والضحاك⁽⁸⁾⁽⁹⁾. ويرد على هذا القول: بما ذكره الرازي (رحمه الله)، لو أن الله تعالى أنطق الطفل لكان مجر أن يقول هي كاذبة وهو صادق لكان مجرد كلامه حجة قاطعة، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل أو دبر دليل ظني، والعدول من الدليل القطعي الى الظني لا يجوز، كما أن الله تعالى قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: 27]، وكون الشاهد من أهل المرأة فهو أولى بالقبول من قبلها، وكون الشاهد من أهلها فهو تقوية للدليل الظني شق القميص، وهذا لا يصار آية إلا عند عم وجود حجة قاطعة⁽¹⁰⁾.

الثالث: أن الشاهد هو القميص، قاله مجاهد⁽¹¹⁾:

(7) سعيد بن جبير: الامام الحافظ الفقيه المقرئ المفسر الشهيد، سعيد بن جبير. ويكنى أبا عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث، وهو من بني اسد، حدث عن عبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن الزبير وابي هريرة وابي موسى وابن عمر رضي الله عنهم، وكان من كبار العلماء، خرج على الحجاج مع ابن الاشعث، فقتله الحجاج سنة (94هـ)، في خلافة الوليد بن عبد الملك، ينظر: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 1410 هـ وسير اعلام النبلاء (5/187).

(8) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي يكنى أبا القاسم، لم يلقى عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، ولقي سعيد بن جبير بالري، واخذ عنه التفسير، (ت: 105هـ)، ينظر الطبقات (6/302).

(9) تفسير الرازي (18/446)

(10) ينظر: تفسير الرازي (18/446).

(11) هو: مجاهد بن جبر ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، وكان يقول: عرضت القرآن

الصورة، وايضاً لما قال الشوكاني: ولا يخفى أن هاتين الجملتين الشرطيتين لا تلازم بين مقدميهما وتالييهما لا عقلاً ولا عادة، وليس هاهنا إلا مجرد أمارة غير مطّردة، إذ من الجائز أن تجذبه إليها وهو مقبل فينقد قميصه من دبر، أو أن تجذبه وهو مدبر فينقد القميص من قبل⁽¹⁾.

ويجاب على هذا الرد: بأن شق القميص علامة تُضاف الى علامات أخرى فتتقوى بعضها ببعض⁽²⁾. وقال الماتريدي: وأن كان يجوز أن تكون الحقيقة غير هذا، أي ممكن أن يكون شق القميص من جهة الخلف لا يكون دليل قاطع على براءته، ولكن نظر؛ أي: الشاهد، الى الغالب⁽³⁾.

قال القرطبي (رحمه الله): إذا كان الشاهد رجلاً فيصح العمل بالعلامات، وكان شريح⁽⁴⁾ وإياس بن معاوية⁽⁵⁾ يعملان على العلامات في الحكومات [ويقصد بها الخصومات]، وأصل ذلك هذه الآية والله أعلم⁽⁶⁾.

(1) ينظر: تفسير الرازي (18/446)، وتفسير الماتريدي (6/229)، وفتح القدير للشوكاني (3/23).

(2) ينظر: تفسير الرازي (18/446).

(3) ينظر: تفسير الماتريدي (6/229).

(4) هُوَ الْفَقِيهَ، أَبُو أُمَيَّةَ، شَرِيحُ بَنِ الْحَارِثِ بَنِ قَيْسِ بَنِ الْجَهْمِ الْكِنْدِيِّ قَاضِي الْكُوفَةِ، يُقَالُ: لَهُ صُحْبَةٌ وَمُ يَصِحُّ، بَلْ هُوَ مِمَّنْ أَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْتَقَلَ مِنَ الْيَمَنِ زَمَنَ الصَّدِيقِ ﷺ، صَحَّ أَنْ عَمَرَ ﷺ وَلَأَهُ قَضَاءُ الْكُوفَةِ، فَقِيلَ: أَقَامَ عَلَى قَضَائِهَا سِتِّينَ سَنَةً. وَقَدْ قَضَى بِالْبَصْرَةِ سَنَةً. وَقَدْ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ ﷺ إِلَى دِمَشْقَ. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: قَاضِي الْمَصْرَيْنِ، (ت: 78هـ) وقيل (80هـ) ينظر: سير اعلام النبلاء (5/52).

(5) هو: إياس بن معاوية قاضي البصرة، الفقيه العلامة، وكان يضرب به المثل بالذكاء والهاء والعقل، وقلما رؤي مثله (ت: 120هـ)، ينظر: سير اعلام النبلاء (5/471)

(6) تفسير القرطبي (6/174).

وذلك من خلال تناولهم لبعض الإشكالات في الآيات، أو الجمع بين النصوص التي يوهم أنها متعارضة، مما يدل على أهمية هذا العلم، ومن أشهر هؤلاء العلماء، الطبري، والواحدي، والزمخشري، والفخر الرازي، وابن عاشور، والشنقيطي.

6. إن البحث في مشكل القرآن فيه إضافة جديدة في مجال الدراسات القرآنية المتخصصة في رد الشبهات التي تُثار ضد القرآن الكريم والسنة النبوية، ونحن في هذا العصر بأمر الحاجة للدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تُعنى بالتصدي لكل ما يُثار حول ديننا وثقافتنا الإسلامية.

7. من خلال دراستي في مشكل القرآن تبين لي أنه لا يمكن القول إن هناك نصين في كتاب الله تعالى متعارضين، بحين لا يمكن الجمع بينهما، وإن التعارض يكون بالفهم لا بالنص.

كون القميص مشقوق من دُبر فهو شاهد، ورد الرازي (رحمه الله): بأن هذا القول في غاية الضعف؛ لأن القميص لا يوصف بالشهادة ولا يُنسب إلى الأهل⁽¹⁾.

القول الراجح: أن ما ذكره الرازي (رحمه الله)، بأن شق القميص من دُبر كانت علامة تضاف إلى علامات قبلها كثيرة فتُضم هذه العلامة إلى ما قبلها من العلامات، لا من أن أجل أن يُعول في الحكم عليها، بل من أجل أن يكون ذلك جارياً مجرى المقويات والمرجحات، وبذلك يندفع الإشكال، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بإكمال هذا البحث، فيما اشكل عند الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، وقد خرجت والله الحمد بفوائد ونتائج جمة، من خلال دراستي لهذا الموضوع، ومنها:

1. إن موضوع مشكل القرآن من الموضوعات المهمة التي يجب العناية بها، عناية بالغة، وذلك لأهميتها في مجال الدراسات القرآنية.

2. إن معرفة المشكل في القرآن الكريم وكيفية دفعه من العلوم المهمة التي ينبغي توافرها لفهم كلام الله تعالى.

3. إن المشكل في القرآن الكريم، يتفاوت بين المفسرين والباحثين في كتاب الله تعالى، فقد يُشكل على أحد ما لم يُشكل على الآخر.

4. إن الحاجة إلى بيان المشكل تزداد كلما كان الزمان زمان جهل وبعُد عن آثار النبوة.

5. عناية عدد من علماء التفسير في هذا الموضوع،

على ابن عباس ثلاثين عرضة، (ت: 104هـ)، ينظر: الطبقات (6/19).

(1) ينظر: تفسير الرازي (18/446).

